

# وجودية من الداخل

تأليف : ا.ل. آلن  
عرض وتحميل : مجاهد عبد المنعم محاهد

لعل أول ما يروغنا في هذا الكتاب (\*) أن صاحبه الدكتور « آلن » يعيب على الدراسات التي كتبت في إنجلترا عن الوجودية أنها لم تدرس الوجودية دراسة حقيفة مخلصه ، ولم تعتمد الى مصادرها الحقيقية ، فكانت النتيجة أن هذه الدراسات صدرت وهي تحمل أحكاماً تعسفية ، وكان أن وضعت هذه الفلسفة موضع التساؤل ، وشك في قيمتها كفسلفة إنسانية .

ويذكر المؤلف في تصوير الكتاب أنه لا بد لنا أن نبدأ دراستنا بنوع من التعاطف Sympathy لكي نستطيع أن نتبين الوجه الحقيقي لهذه الفلسفة ... وعملية التعاطف هذه في الدراسة التي يذكرها الدكتور « آلن » مهمة جداً ، إذ لا بد لنا أن نقبل على موضوع بحثنا بنوع من الحب والألفة والمودة ، وأن يكون بيننا وبين هذا الموضوع نوع من الاتصال المباشر . وقد يظن بادئ ذي بدء أن هذا الحب وهذا التعاطف كفيلا أن يمنحنا حكماً مسبقاً من الموافقة على الموضوع قيد البحث ، ولكن لعل العكس هو الصحيح ، إذ أن هذا الحب وهذا النفاذ الى الموضوع بهذه العاطفة المشاركة ، سيكشفان لي ما إذا كان هذا الموضوع جديراً بأن يحب أو بأن يلفظ ، تماماً مثل أن أحب فتاة . فلا بد أن أتعاطف معها وجدانياً إن كنت أريد أن أعرفها حق المعرفة ، وسيتبين لي ان كانت جديرة بهذا الحب أم لا . بدلا من أن أبعث وراءها المخبرين والرقباء ، فيحكموا على وجودها من الخارج ، بدلا من النفاذ اليه بضرب من التعاطف ... ولعل هذا الأمر هو ما يعيب معظم الباحثين في شرقنا العربي ، إذ أنه يظن ان الدراسة الحقة هي مجرد قراءة ضخمة لكتب كتبت حول الموضوع المبحوث ، فيقطعه بحثاً ، ولكنه - للأسف - بحث من الخارج ، مفتقر الى الضرب من المشاركة العاطفية .

يضاف الى هذه الميزة عند الدكتور « آلن » ميزة أخرى ، فمن خلال الشذرات التي ضمنها كتابه ، يتبين لنا أنه رجع الى الكتب الأصلية للفلاسفة الوجوديين أنفسهم ، ثم هو لم يكتب بهذا ، وإنما عمد ايضاً الى ضروب من الكتب عديدة تناولت الوجودية من وجهات نظر مختلفة ، لكي يستطيع أن يدخل هذه الفلسفة المحك ، متبيناً جدواها من عدمه .

ولعل ما جذب الدكتور آلن الى دراسة الوجودية هو موضوع الحرية ... أقول لعل ... وهو يؤطر قوله شلنج في الصفحة الأولى من كتابه : « إن بداية الفلسفة ونهايتها إنما هي الحرية . »

فاذا أضفنا الى الميزتين السابقتين ميزة ثالثة من انه قد خص كبار الوجوديين كلا منهم بمقالة ، وجعل مدار هذه المقالة لا فلسفة الفيلسوف بأكملها ، وإنما تناول النقطة الأساسية في تفكيره ، تبيناً مدى جدية المؤلف ومنهجيته وتعاطفه الحقيقي مع موضوعه الذي كشفه ركيزة كل فيلسوف .

نضيف الى هذا أنه لا يبدأ تعريف الوجودية كما هو الشائع في معظم الكتب التي كتبت عنها بأن يفرق بين الوجود والماهية داخلاً في تعقيدات اصطلاحية ، ولكنه يلجأ الى تعريف بسيط واضح سوف نذكره بعد قليل .

(\*) الكتاب الذي نتناوله هنا « وجودية من الداخل » Existentialism 7 From Within للدكتور « آلن » دكتوراه في الفلسفة ، يكاد يكون عرضاً محايداً للفلسفة الوجودية ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٥٣ في لندن  
Routledge E Legan Paul .

وقد جعل المؤلف كتابه هكذا :

- ١ - مقدمة : ( وقد درس فيها مقدمة للوجودية وعرض لفلسفة كير كجورد )
  - ٢ - مقاومة الموت : ( تناول فيها فلسفة مارتن هيدجر )
  - ٣ - الإنسان وحرية : ( عرض فيها لمفهوم سارتر في الحرية )
  - ٤ - العقل والتاريخ والايمان : ( بين فيها آراء كارل ياسبرز )
  - ٥ - من السر الى الاخلاص : ( خصص بها فلسفة جابريل مارسل )
- ولسوف نتناول كل فصل من هذه الفصول عارضين لوجهة نظر المؤلف .

## مقدمة

نحن الذين نخلع المعنى لما هو معطى لنا في الحساسية ... وثالثاً : مين دي بير ان ( ١٧٦٦ - ١٨٢٤ ) ولقد ضمه مونييه صاحب الفلسفة الشخصية Personalism الى شجرة الوجودية (٢) ، وذلك لتأكيد على قيمة «الفعل» .

\* \* \*

قلت اننا سنأخذ بوجهة النظر القائلة بان كير كجورد (١٨١٣-١٨٥٥) هو النبع الأساسي الذي تتدفق منه الوجودية ، وذلك لما اعطاه من تأثير لهذه الحركة المعاصرة .. لقد تارك كير كجورد على فلسفة هيغل المثالية ، فلقد شيد هيغل صرحاً ضخماً للفلسفة وجعل لكل شيء مكانه داخل هذا الصرح ، وان كل شيء في الوجود قد انتظم ، بل ان هيغل نفسه ليعلم انه نهاية الفلسفة لأن الفلسفة قد تكاملت بابداعه لمذهبه .. تارك كير كجورد على مذهب هيغل ، فلقد تصور هيغل نفسه جالساً على مقعد في مسرح العالم وهو يراقب مسرحية التاريخ وينقدها غيبي ! ألم يدرك انه ليس هناك الا مقعد واحد وانه محجوز لله ، بينما هو -هيغل- على المسرح مع بقية الناس مطالب بأن يلعب هذا الدور (في كتابه Unscientific Postscript ) بمعنى آخر ، ان حقيقة الموقف يمكن القبض عليها عندما ينظر اليها من الداخل من قبل اولئك الذين يعيشون خلالها ، فالحقيقة اذن ذاتية ، وعلى الانسان ان يكون مخلصاً كرجل لا كمفكر ان الحقيقة تقتضي الالتزام ، وهذا النمط من التفكير الشخصي المدغم بالالتزام يسميه كير كجورد بالتفكير الوجودي existential ، واللفظ يرجع الى التمييز المدرسي بين الماهية essence والوجود existence ، «الماهية هي كينونة الشيء والوجود هو الفعل الذي يتكون به الشيء» (الحياتي زيورا Olgiate Zibura في كتابه: مفتاح لدراسة القديس توماس) فالماهية هي مجموعة الخصائص المميزة للشيء ، ويميزه عن غيره ، ولكنها لا تحمل اي ضمان على وجود الشيء بالفعل .. فالعناق يمكن ان تكون لها صفات تحددها ولكن هذه الصفات لا تدل على وجودها ، ومن ثم فالتحدث بالفاظ الوجود يدخل الانسان العالم الحقيقي « لان تفكير وجودياً هو ان فصل الى ارتباط بموقف انساني على انه موقف نحن متضمنون فيه فعلاً .»

والشخص الوجودي يبحث عن حل لمشاكله ، وهذا الحل يجعله قادراً على ان يحيا خلال اللحظة الحالية القاسية ويتقبل المسؤولية من اجل قراراتها ، انه يجب ان يتدبر نفسه هنا والآن ، وهذه ركيزة - وان كانت غير علمية او حتى

لعلم من الأهمية بمكان ان نقرر بادوذي بدء ان الوجودية ليست فلسفة بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة ، فكير كجورد كان يرعبه ان يعد ضمن الفلاسفة ، ولقد خشى اليوم الذي توضع فيه كتبه ضمن الكتب الدراسية ، ولقد ذكر كارل ياسبرز ان الحقيقة لا يمكن ان تكون مذهباً System والمقصود بالمذهب مجموعة من الأحكام والقضايا الجاهزة يبدعها ذهن تجريدي .

ويعد الوجوديون الى التعبير الحى عن فلسفتهم ، او لنقل عن نزعتهم ، فسارتر مثلاً يلجأ الى التعبير الأدبي - الى جانب كتبه الفلسفية والسيكولوجية - في الرواية والقصة والمسرحية ، والسبب في هذا ان الوجوديين يهتمون بـ : « كيف » هي الحقيقة ، لا « ما » هي الحقيقة فحسب ... ان الشكل وطريقة العرض ، والاطار ، لا بد ان تؤثر في المضمون . بمعنى آخر ان الحقيقة الحسية Concret لا يمكن ان يعبر عنها بالذات الموافقة للحقائق التجريدية .

وربما نستطيع ان نعرف الوجودية كتعريف بدئي بأن «الوجودية هي محاولة للفلسف من وجهة نظر الممثل بدلاً من وجهة نظر المتفرج كما هو المعتاد» .. (١) اي انها محاولة للفلسف من وجهة نظر ذلك الشخص الذي يعيش الحياة نفسها ، بكل ما فيها من قسوة ، لا ذلك المتعالي الذي يرقب الحياة من بعيد بمنظير مثالية تفضى الى مذاهب تجريدية .

ويختلف الباحثون في رد هذه الوجودية الى اصلها ، فبعضهم يردّها الى القديس اوغسطين ، فاننا نجد في «اعتراقاته» مواجهة الفرد مع مصيره المميت والجزع والقلق واليأس ، تلك المفاهيم التي اشاعها الوجوديون اليوم ... وبعضهم يردّها الى سقراط لأنه قال وهو يشرب كأس السم : «انا لا اعرف ما يحدث وراء هذا العالم ، ولكنني اتقدم بالشجاعة والأمل» ولقد واجه الموت وهو يرحب به على انه خاتمة لكل ما رغب فيه وما جاهر به ... وبعضهم يردّها الى كير كجورد - وهو ما سنأخذ به وما سنركز عليه - ولكن قبل ان نفعل هذا علينا ان نذكر ثلاثة جديرين بالذكر :

اولاً : شلنج (١٧٧٥-١٨٥٤) الذي نجد ان كير كجورد يأخذ منه فكرة الاختيار ، ولقد ذكر شلنج «ان وجود الانسان اساساً هو فعله الخاص ، وكانت الحرية عنده مبدأ خلاقاً Creative ... وثانياً : كانت Kant (١٧٢٤-١٨٠٤) الذي نجد عنده تأكيداً لقيمة الذات في المعرفة ، قائلاً اننا

(١) يصف جوليان بندا Julien Benda الوجودية كثورة للحياة ضد الفكر « تراث الوجودية » . وبالنسبة لإمانويل مونييه Emmanuel Mounier فهي «رد فعل لفلسفة الإنسان ضد تطرفات الأفكار وفلسفة الأشياء» والحكم الأول هو حكم ناقد عدو ؛ والآخر حكم صديق.

(٢) نجد رسماً لهذه الشجرة في كتاب مونييه Introduction aux

Existentialismes ص ١١ .

سيكولوجية الا انها - اخلاقية .

يبحث الوجود الكوني Being لا الوجود الانساني existence ، وهو  
يرفض ان ينضم في اطار مع ياسبرز .

ولقد اهتم هيدجر بمشكلة خاصة في مقاله « ما هي الميتافيزيقا ؟ » الا وهي  
مشكلة « العدم » Nathigness ، وقد نظن ان هذه المشكلة مشكلة  
زائفة نشأت من اللغة ، فقد نقول : انه لم يأت ، هذا ليس حلوا ، انهم  
لا يحبونني ، فلن ان « عدما » لا بد وان يوجد ، ولكن هيدجر يرفض هذا  
اذ انه يسبق العدم على عملية السلب ، والعدم عنده ليس شيئاً موجوداً والا  
وقعا في التناقض بين وجوده وبين طبيعته ، وانما هو عملية process . هناك  
تجربة فعلية للعدم وهي لا تنفصل عن الوجود وترتبط به والتجربة التي تثير  
العدم هي القلق dread ( المصطلح الفرنسي angoisse وفي اللغة  
الانجليزية احياناً ترجم بـ ungnish ) وهذا القلق ليس هو الخوف ،  
لان الخوف متعلق بانتهاءات جزئية : انا اخاف ان افقد ساعتي ، اخاف الا  
الحق القطار ، اخاف ان افقد ساعتي ، ولكن القلق لا يرتد الى موضوع  
يمكن ان يرتد الى تهديد threat بعينه ، والقلق ليس في مكان ما معين ،  
ولكنه في كل مكان ، وهذا القلق يرجع الى كوننا وجدنا في العالم دون ما  
ارادتنا .

وقد يعترض معترض بان القلق الذي يثير العدم شيء شاذ وانه مرضي وانه  
من الخطأ ان نستدل منه على شيء .. ولكن هذا يدل على ان لدينا علماً بإمكانية  
السقوط الى العدم .. وهذه المعرفة هي التي تعطي له طبيعته الحادة « العدم هو ما  
يجعلنا نكتشف ما هو كائن What is على انه يمكن لوجودنا الانساني »  
وهذا يؤدي الى انه ليس هناك علم بالوجود الكوني Being . وانما هناك  
وجوداً ما نستوعبه وجودياً اولاً نستوعبه على الاطلاق ، اننا ندرکه كدهشة  
ضد الامكانية التامة للعدم . وقيمة مشكلة العدم هي انها تثير الدهشة التي هي  
النظرة الأساسية والأصلية للفلسفة ، وان السؤال : لماذا انا هنا على الاطلاق ؟  
لهو سؤال اصيل كتعبير عن العظمة ، ويؤدي الى ان الحياة ثقة ، وانني - كما  
عبر ياسبرز - معطى لنفسي . فاهمية العدم انه يضع وجودي موضع التساؤل  
وهذا سيضع كل امكانياتي ومشاريعي موضع التساؤل .

ويذكر هيدجر ان « كل كائن الى المدى الذي هو فيه كائن مكون من العدم »  
ولكن ليس معنى هذا ان هناك عدماً مسبق الوجود Pre-existent تصنع  
منه الأشياء .. ان العدم هو الذي يشعري بان وجودي ينزلق الى هوة ما لها  
قرار ، وان علي ان اسيطر على وجودي ..

وان الانسان ليدرك انه جزء من الوجود ، ومن ثم كان الاستيعاب للوجود  
الكوني جزءاً تكاملياً لوجوده .. ان الزام ان يعرف نفسه قد كتب عليه بسبب  
حقيقة بسيطة الا وهي كونه انساناً كائناً ، ووجود الانسان هو « امكانية  
الذات ان توجد او لا توجد » .

ويريد هيدجر ان يبرهن صحة القضية « الوجود والمعرفة شيء واحد » . والمواقفة  
الأولى للحياة الانسانية انها وجودية . العالم Being - in - the - World  
ان الانسان ليس ذاتاً محايدة باشياء ، يجب الا يبدأ تحليلي بالانسان ، ولكن  
بذاتي ، ابدأ بالعالم الذي انا فيه ، على انه دائرة اهتماماتي ، والمسرح الذي لعب  
عليه دوري ومصالحني . ان العالم الذي اوجد فيه هو عالمي حيث ان مركزه  
الممكن هو ذاتي .. ان كل شيء ينظم حولي ويرتبط بي ، اي يرتبط باغراض  
وليس فحسب بمعرفتي .. فمفند لحظة بينهما كنت مشغولاً بالكتابة على الآلة الكاتبة  
فان الخطوات التي على السلم والقطار الذي يقترب من المحطة لم يكونا في عالمي .  
والآن ، عندما استرحت قليلاً وجعلت انتباهي يتجول طليقاً فقد وجدنا . لهذا  
ليس عالمي كمية محدودة ، انه بغير نمط ومضمونه يتبدل من لحظة لأخرى

ونقد جعل كبير كجورد فرديته ذات طابع ديني ، فهو يريد ان يكون كل فرد  
حاضراً مع الله في علاقة ، ولقد غفل عن ان المرء في مقابلته مع الله يستقبل مع  
آخرين ايضاً يقابلون الله ، فبقيت فلسفته فردية للغاية ، ولم يتبين ان الفرد  
يصل الى ذاته فحسب خلال مجتمع فيه اعطاء وتقبل متبادل .

ومن اكثر الأشياء مأساوية في حياة كبير كجورد انه وهو الذي قدس  
الالتزام لم يكن قادراً على ان يلزم نفسه .. فلقد كان يبارك الزواج ، الا انه  
اعتبر نفسه الفرد الاستثنائي وقطع صلته بخطيبته ، وظن ان الحياة السياسية هي  
بجمال النفوذ والسيطرة لا مجال للمشاركة الفعالة من جانب المواطن المسيحي ،  
وهذه النقطة بعينها سارت وافتتت به الى ان الفرد ملزم بالعمل في المجتمع .

وما يعيب فلسفة كبير كجورد انه حاجم العلم « لا يمكن تصديق ان انساناً  
يعتبر نفسه لا نهائياً كروح يمكن ان يفكر في اختيار العلم الطبيعي ( مع المادةية  
التجريبية ) عملاً لحياته وغرضاً لها » ( اليوميات Journals ) فالعلم  
في نظره لا قيمة له ولا اهمية .

و اذا كنا قد عرضنا الآن لفلسفة كبير كجورد ، فعلياً ان نبين الوضع  
التاريخي للفلسفة الوجودية ، فانه ليقول علينا انها « فلسفة البحران » Philosophy  
of Crisis ومن الخطأ الشنيع ان تعتبر الوجودية فلسفة مطبوعة  
بطابع الحرب ، وانها كابوس اناس مهزومين وانهم سيصدمون اذا مسا  
استيقظوا في يوم اسعد ، اذ ان الانسان في نظر الوجودية يوجد ككائن في  
موقف ، وان موقفه دائماً شيء اكثر ، مجموعة ظروفه ، وانه هو نفسه عامل  
مهم في موقفه ، حتى انه في النهاية لا يحدده موقفه ، ولكنه يحدد هذا الموقف .  
قد تكتب علينا الحرب من قبل الحرب بسبب ازمة قناة السويس ، ولكننا نحن  
الذين سنقرر مصير هذه الحرب ، بان نناهضها او ان نستسلم لها ، فان نحن  
ناهضناها كانت هذه بداية طور جديد في تاريخنا الوجودي .

ولقد اعتمدت الوجودية في دراستها على المنهج الفينومونولوجي  
Phenomenology ، وهو منهج ابتدعه ادوموند هوسرل E. Huserl  
الألماني المتوفي عام ١٩٣٨ ، وخلاصة المنهج اني لا يمكن ان اعرف العالم في ذاته ،  
وانا انا اضع العالم بين قوسين واتوقف عن اصدار حكم عليه ، ولكني لا  
اقف هنا ، وانما انتقل خطوة اخرى . من اني احكم عليه خلال علاقتي به ..  
واذ بي اكتشف هذه القصدية Intentionality من ان ذاتي  
تحياي الى موضوع خارجي ، وان الموضوع يرتد الى ذاتي .. وانا انما علي  
ان اقوم بوصف من خلال الشعور لعملية الإحالة هذه ، فالمنهج الفينومونولوجي  
اذن منهج وصفي Descriptive من خلال ظاهرات الشعور .

## مقاومة الموت

لعله من الضروري ان نقول ان فلسفة مارتن هيدجر M.Heidegger ( ولد  
عام ١٨٨٩ ) تعد من اعقد الفلسفات ، وذلك للمصطلحات الجديدة التي يلجأ  
اليها للتعبير عن فلسفته .. ولقد ادرك الدكتور « الن » صعوبة هذه الفلسفة  
وذكر هذا .. وانني ساحاول ما وسعني الأمر ان ايسط فلسفة هيدجر ،  
وسأعرض بعض نقاط فلسفته بطريقتي لا بطريقة المؤلف لكي تتضح بعض  
الجوانب التي غمضت في شرحه .

ليس هناك من شك في ان هيدجر قد تعلم على يدي هوسرل ، ولئن كان  
احد الذين ينكرون وجود الله الا انه مكترث به .. والمشكلة التي يعنى بها انه

ولكني دائماً موجود فيه .

واني لأدرك أيضاً وجود اشخاص آخرين موجودين في العالم .. انا في العالم يعني أيضاً اني «مع» آخرين .. ان وجود الذوات الأخرى شيء اولي تماماً كادراكك لذاتي .. اني ادرك وجود ذاتي داخل علاقة مع الآخرين ، اذن الوجود -في- العالم يعني الوجود -مع- الآخرين being -with - others وهناك حس مشترك Common Sense من ان كل فرد يعمل مع آخرين ، والذاتية على هذا مفصلة بهوة من الاستحكامية اللاشخصية ( حيث ان الآخرين يحوطونها ) ومن ثم اطلق هيدجر كلمته في كتابه « الوجود والزمان » : « كل انسان هو الآخر ولا يوجد فرد هو نفسه. »

\* \* \*

ولنعد الآن الى القلق .. ان هذا القلق هو الظاهرة السيكلوجية الفريدة التي تكشف لي ما يكون حياتنا .. ان هذا القلق يطبع حياتي بطابع اهم Care ( بالمانية Lorge ) ، وهو الذي يجعلنا ننظر لحياتنا نظرة دينامية ، فنكون مهمومين بوجودنا ، وهذا اهم يرتبط بثلاثة اشياء : اولاً : هو مرتبط بالذات وبامكانياتها ، حيث ان الانسان هو الكائن الوحيد المهموم دائماً والغد .. انه سلسلة من المشاريع المجنحة نحو المستقبل .. ان اوجه نشاطه كلها السياسة والاقتصادية والعلمية ، بل حتى الدينية ، موجهة الى المستقبل كبحاوله لتأمين هذا المستقبل .. ثانياً : اهم يشغل على عالم منح له ولم يختاره .. اننا ملقون Thrown هنا ، وبقطة الوعي هي في اننا هنا ، سابقين على انفسنا .. ثانياً : اهم مشغول باعمال العالم في ارتباط مع الآخرين .. ومن ثم ارتباط اهم لهذا بعناصر الزمان الثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل .. ولما كان الانسان هو الكائن الذي يتطلع الى الأمام قبل ان ينظر الى الخلف نجد ان عنصر الزمان الأساسي في اهم هو المستقبل .. والانسان اذ يكتب التاريخ في لحظة الحالية فأما ليسيتر على المستقبل ، ان الانسان موجود بالقوة Potenciality اكثر من كونه بالفعل Actuality ، بمعنى آخر على الانسان ان يتساءل : ما-ا عليه ان يصبح ؟

\* \* \*

وان الانسان الذي يسقط في المجموع وفي العالم ، ليس هو الانسان ، ولكنه هو ما اختير له ان يكونه ، وهو يعرف انه يمكن ان يستمر هكذا وان يصبح شيئاً آخر ، وان امكانية الوجود الحقيقي (او الشرعي) authentic existence مفتوحة بالنسبة له وهو يعرف هذا دون ما كشف من الله ، والموت هو الذي يكشف لي وجودي الشرعي .. ان الموت هو الميزة الرئيسية للحياة ، فننما يولد الطفل فان الشيء الوحيد الذي يمكن ان نؤكد عنه هو انه سيموت ، وليس الموت موضوعاً نهم به عادة لأنه يمكن ان يحدث في اية لحظة ونحاول ان نقنع انفسنا بان الموت يقع للآخرين .. والنظرة الحقيقية للموت هي ان نواجهه على انه متضمن في الحياة ، ليس الموت هو الفأس التي تقطع الشجرة ؛ انه الثمرة التي تنمو عليها .

والموت يعزلي ويجعلني فرداً ، بل انه ليذهب بي الى اقصى ابعاد الذاتية . لماذا ؟ لأنه موتي انا لا موت فرد آخر ، وكل منا يموت موته الخاص ، وهو يضطرني ان انفصل عن كل ما يربطني بالعالم والآخرين ، وهذا الموت لا يتكرر ، اني اموت مرة واحدة فحسب ، وهو مؤكد وغير محدد ، بمعنى انه يحدث لي ، اما «ميتي» فليس هذا محدد ، انه يحيط وجودي ولكني لا ادري كيف . وما هو ضروري هو ان نرى ان حياتنا انما هي وجود-نحو- الموت being -towards- death ، والشخص الذي يرثي موته هكذا يجد نفسه مختلفاً عن الجمهرة ومعداً لتحمل المسؤولية ، اننا ننبثق من الجمهرة

لتصبح انفسنا في النهاية ، هناك شيء في الانسان يقاوم حالته المضاعة ويستدعي امكانية اخرى ، انه الضمير Conscience الذي ينادي الفرد من الجمهرة ان يتحدث مع نفسه كذات فردة ، وان نداءه اليه يأتي في صمت ، وهذا النداء يأتي بالرغم مني ، انه يأتي من داخلي ولكن بالرغم مني ، والضمير ليس ملكة منفصلة عن الانسان ، انه صوت اهم ، انه تعبير اهم الذي يتطلب الوجود الشرعي ، انه يجعلنا مدركين للمخطئة .. خطيئة الوجود الذي جئناه مرغمين ، اننا احرار ، ولكننا لم نختار ان نكون احراراً ، واننا لنعيش في مشاريعنا projets ، وان تحقيق احداها ليتضمن في نفس الوقت رفض امكانيات اخرى ، ومن ثم نجد ان الوجود مغلف بالعدم . ويجب علي ان اقاوم الموت الذي يتطلبني في كل لحظة ، واعلو عليه بفعلتي وفعاليتي .

## الانسان وحيثه

لعلنا بسارتر Sartre ( ولد عام ١٩٠٥ ) نجد للفلسفة الوجودية طابعاً جديداً حياً ، مرتبطاً بالوجود ارتباطاً وثيقاً ، فان سارتر يسم بمشكلة الانسان -في- الموقف Man -in - Situation انه يسم بالوعي وموضوعه في علاقته التي لا تنفصل كما يقول جانسون (١) وكما أكد اكثر هوسرل من قبل ، ان القصدية Intentionality هي الميزة الرئيسية للادراك ، وهذا سيفضي بنا الى التمييز بين الشيء في ذاته self في ذاته For -itself

ان سارتر لا يعرف شيئاً وراء هذا العالم ، وهو لا يرد الادراك الى فوق الظاهرة epiphenomenon .. ان الشيء في ذاته عند سارتر يخل بساطة هناك ، صلد ، كنيف ، وهو ليس موضع تساؤل .. اننا ندركه على انه منفصل عن انفسنا وهو ليس فعلاً او منفصلاً ، وليس موجياً او سلباً .. انه وراء كل تصوراتنا Categories انه يكون ، وانه لا يوجد بذاته حيث انه متضابق مع نفسه ، ويمكننا ان نقول عنه انه ممكن Contingent وعارض accidental وانه هناك there

فإذا عن الشيء لذاته ؟ ان الادراك لا بد ان يرتد الى الشيء ليس هو ، وهو دائم التساؤل ، والتساؤل يقتضي اجابتين : اثباتاً ونفياً ، فبالنسبة للمتساؤل . فان مالا يوجد يمكن تماماً مثل ما يوجد . فإذا كانت الصيغة Formula الأولى للوجود « الوجود وجود » فان الصيغة الثانية هي « الوجود هذا ، وليس هناك من شيء وراء هذا » ( الوجود والعدم ص ٤٠ ) وهكذا نجد « ان كوننا قادرين على قول : لا ، يتطلب كشرطها الضروري ان اللاوجود Non -being يجب ان يكون حاضراً دائماً داخلنا وورائنا » ( المصدر نفسه ص ٤٦ )

ان عدم لا يخضع الوجود ، ولكنه لا يمكن ان يكون منفصلاً عنه .. ومن ثم نجد ان الوجود الصلب المتأسك قد تمزق ، لقد ظهر ثقب ، وان المصدر الوحيد لهذا التحطيم هو الوعي ، فالوعي لا يوجد فحسب ولكنه يميز نفسه عن الشيء في ذاته ، انه خالق التمييزات والتصورات .

وقد يخفي الادراك عدم داخله « الانسان هو الكائن الذي يظهر عدمه الى العالم من خلاله » ( المصدر السابق ص ٦٠ ) والادراك لا يتطابق مع نفسه ،

(١) يعتبر جانسون Jeanson من كبار التلامذة السارتريين ، وقد اعتمد الدكتور « آلن » في هذا الفصل على كتابه : Le problème Moral et la pensée de sartre

- التتمة على الصفحة ٦٩ -

فاذا حدث وتأملت فان  
النفس المتأملة غير النفس  
المتأملة ، فاذا حاولت ان  
اقرر ما انا ، فاني افشل  
لأني اثناء تكلمي ، ما اتكلم  
عنه اجد انه قد انزلق الى  
الماضي ويصبح ما صرت  
اليه . انني ماض ومستقبل  
ومع ذلك فلست انا ، لقد  
كنت الأول ، وسأصبح  
الثاني ، فالادراك اذن ليس

ما هو عليه ولكن ما ليس هو وما سيكونه

اذن الادراك ليس شيئاً جامداً كاملاً ممتلئاً معطى ، انه عملية process  
وخلق للذات Self - creation والانسان عنده ميزة تخفي الذات  
Self - trans-cendence وهو يعيش بمشاريعه projects وتخطياته  
للسلوك في المستقبل ، فالانسان دائماً ما يرسل افكاره قدامه ، اذن الانسان  
حر ، او بمعنى آخر الانسان هو الحرية ، ومن ثم فالحرية هي الجوهر في  
الانسان ، او ان الانسان وجوده يسبق ماهيته ، وبالنسبة لسارتر لا يوجد  
أي اله او طبيعة انسانية محددة من قبل . وبهذا جعل سارتر الانسان خالق  
القيم Values كما لو كان هو حرية مطلقة مثل الله . ان الحرية لم يمنحها  
احد للانسان ، ولكنه يجد نفسه حائزاً عليها ، وليس هناك من معنى ان نقول :  
« يجب » ان نكون احراراً ، لأننا لا يمكن الا ان نكون احراراً ، وقد قال  
ان الانسان في استطاعته ان ينتحر ، ولكن كيف يؤكد الانسان حريته في  
الانتحار ؟ لقد صاح سارتر « لقد حكم علينا بالحرية » (الوجودية فلسفة  
انذائية - ص ٣٤ من الترجمة الانجليزية)

والانسان في حريته خلاق ، وهو الابداع Creativity الواسع  
هناك ، ان العالم خارجه العالم الصلب ، عالم الشيء في ذاته ، لا يملك اي معنى  
او قيمة ، وبالانسان يتميز الخير والشر ، ومن ثم كان التمييز انسانياً متعلقاً  
به .. واننا في اختيارنا نصنع انفسنا ، يقول سارتر في ( الوجودية فلسفة  
انسانية ص ٣٤ ) « ليس وراءنا ولا امامنا في عالم مضيي بالقيم ، اي وسيله  
للتبرير . والاعتذار . لقد تركنا لأنفسنا دون ما عذر . » ولقد اطلقت مارجوري  
كزين Marjorie Grene على هذه الحرية اسم « الحرية المرعبة » في كتابها  
الذي يحمل هذه التسمية .

ان سارتر ليذكر في « الوجود والعدم » ص ٧٧ « اني ابرغ وحيداً ، وفي  
القلق ، في مواجهة المشروع الفريد والبدئي ، اكون وجودي . وان كل  
التعريفات والرسوم تنهدم وتستحيل الى عدم من وحي حريقي . انا لا املك ولا  
أستطيع ان املك اي قيمة تمتص من كوني انا الذي يذكر القيم في الوجود . ولا  
شيء يستطيع ان يضمنني ضد نفسي »

لقد تناولنا الحرية بصفة عامة ، وسوف نتناولها من ثلاث نقاط : في الفرد  
كمركز للحرية ، كعلاقة بين الأفراد ، كعلاقة بالموقف المشخص Concrete  
الذي تمارس فيه الحرية .

ان الانسان لا يتقدم وفقاً لنموذج ، ولكنه يحمل النموذج في داخل  
فعايلته ، اني حرية معينة . وانت حرية اخرى ، وكل منا مركز لمعنى لهذا  
العالم ومرجع ، والموت لا يمكن ان يوجد من غيرنا ، انه يأتي الحياة معنا ومن  
جلنا ، وان تفردنا Uniqueness قائم في ان كلا منا يفعل هذا الشيء

## وجودية من الداخل

- تمة المنشور على الصفحة ٣٣ -

بطريقته الخاصة ، بل ان  
كلامنا يدخل المستقبل بطريقته  
الخاصة ، فبالنسبة لسارتر ،  
كما هو الحال عند هيدجر ،  
الانسان هو الكائن الذي  
يتحرك امام نفسه ، فهو  
يلتقي بالمستقبل ويواجه  
امكانياته ويتخذ وجهة  
نظر ، ومن ثم فالحرية لا  
تقبل الراحة ، لأن الانسان  
لا يقنع بأي شيء ولا يعتقد

في التحقيق الكامل ، انه اشبه بسيزيف ( البطل الذي عذبه الآلهة لأنه حمل النار  
للانسان متحدثاً في هذا ارادة الآلهة ) يدحرج حجرة الى اعلى الجبل ولا يصل ابداً الى  
القمة ، والانسان لا ينقطع عن ان يكون حراً ، مها حاول التخلص من  
حريته .

والانسان في حياته يحاول ان يحقق المستحيل ، انه يريد ان يأكل كمكته ،  
وان يمتلكها معاً ، وان يربط بين وجوده ووجود العالم ، وهو يتوق ان  
يصبح الها ، لأن الله هو الوحيد الذي تلتقي فيه الماهية والوجود ، فترتبط  
الحرية المطلقة بالضرورة المطلقة ، ولما كان هذا غير ممكن الحدوث فانه ليس  
موجوداً ، لا يمكن ان توجد وحدة بين الشيء في ذاته والشيء لذاته ، لأن  
الشيء لذاته تخط ابدى .

يقول سارتر في كتابه عن « بودلير » : « ان رغبته الكبرى هي ان يكون  
الحجر والتمثال ، متمتعاً بالراحة السلامية التي تمت الى الابد Impenetrability ، هذا  
ولكنه يريد خاصة الاننفوذ هذه اغادئة Impenetrability ، هذا  
الالتزام الكلي للذات بالذات ان تمتع في وعيه الحر الى المدى الذي هو فيه حر  
ومدرك . »

وهذا التحليل للنفس مخالف للتحليل الفرويدي ، الذي يلتمس اللوم على  
الظروف ، ويقول بأن الانسان ضحية ظروفه ، ومن ثم تلقى الأثم والمسئولية  
على العقدة النفسية ، او على شيء ليس انفسنا ، اننا جبناء ، لا لأننا فعلنا شيئاً ،  
ولكن لأن الظروف حكمت علينا بهذا ، وسارتر يرفض مثل هذه الآلية  
للنفس ، هذه العقدة وما شابه ذلك ، فان الجبان يمكن الا يكون جباناً .

\* \* \*

من الجميل ان يعرف الانسان انه مثال للحرية ، ولكني ادرك ايضاً اني في  
العالم مع آخرين ، وان وجودهم لا يشقني ، انه معطى بجانبه ، وهو معطى  
قبل كل شيء في تجربة كونه يرى being observed منظور اليه ، ..  
ها أنذا ارى رجلاً امامي على المقعد في الحديقة يقرأ ، انه ليس اكثر - من  
جهة اهتمامي - من حوض الزهور ، وفجأة يرفع رأسه وينظر الي .. وفي  
الحال ، فان تقييمي Valuation له يتغير ، فلم اعد اعتبره شيئاً ،  
ولكن على انه ذات ، وادرك اني موضوع بالنسبة له ، فالشخص الآخر  
تهديد لي ، انه عامل مهدم في عالمي الذي يسكن فيه شخص آخر ، لقد اصبح  
عالمي عالمه ، لقد نزع عني اعتباري من الآخر ، وهذا ما يحدث ان كنت أنظر  
من ثقب باب وراي احدهم ، وسرعان ما يتولاني الحجل ، والحجل يصاحبه  
حالة العري Nudeness من كوني معرض لحملقة شخص آخر  
وحكمه : فالآخر عدوي ، لكونه شخصاً آخر خلافي ، وصورته دائماً  
ما تلاحقني ، وعلى ان اواجه الصورة التي رسمها لي ، فاذا استجبت وتصرفت

وهذا هو واجبه ، وتقول سيمون بأنه لمجرد ان وجودنا هنا عبث وخواو من المعنى ، فاننا نستطيع ويجب ان نمنحه معنى ، لأنه اذا كان له معنى من قبل ، فلماذا نتعب انفسنا بمحاولة عطاءه معنى ؟ او من ثم تقول بان الوجودية ليست مذهباً لليأس ، انها رسالة أمل ، فبالنسبة لها ليس الانسان خيراً بطبعه او شراً بطبعه ، انه حر ، وهو يصبح خيراً او شراً وفقاً لتقبله لحرية او ابتكاره لها. تقول في كتابها «الوجودية وحكمة الشعوب» L'existentialisme et la sagesse des Nations « ان اذ اتصال الوعي حرة ممتازة بيقية ولكن الانسان يستطيع ان يرتفع عليها ، انه يستطيع ان يتحد مع اناس آخرين في العالم . والوجوديون يعيدون البعد كله عن انكار الحب والصدقة والاخوة ، لأنه بالنسبة لهم ، خلال هذه العلاقات الانسانية فحسب يستطيع كل فرد ان يجد اساساً لوجوده وتحققاً له fulfillment ولكنهم لا يعتبرون هذه العواطف معطاة مسبقاً . انها تكتسب .. ان الانسان وحيد وسيد متسلط على مصيره اذا ما اراد فحسب ان يكون ما يجب . هذا هو ما تؤكد الوجودية وهذا بالتأكيد تفاؤل» ( ص ٤١ )

ان الانسان حر ، وليس امامه الا طريقان : اما ان يستخدم الحرية ضد حريته ، او ان يستخدمها من اجل حريته .. والذي سيحدد الاختيار بمقدار تجسده لادراك الموقف وتحمل المسؤولية . « ان الوجودية هي اخلاق التكامل integrity حيث الهروب فيها من ذات المرء شر ، ومواجهة ذات المرء خير » ( مارجوري جرين - الحرية المرعبة ) وهذه الحرية تستحيل في العمل الى عملية تحرر liberty

## العقل والتاريخ والايمان

يهدف « ياسبرز » Jaspers ( ولد عام ١٨٨٣ ) الى تجديد التراث الفيلسفي الغربي ، بان يدخل فيه بصائر كيركجورد ونيشه .. ولئن كان يرفض نتائج فلسفتها ، الا انه يدين بمهجهما ، فهما يثيران المشاكل التي يجب ان نواجهها .. واهم ما فيها هو انفعالها بالاخلاص ، وعودتها الى منابع الفلسفة ، وربطها بين الفكر والحياة ( يذكر ياسبرز هذا في كتابه : أهمية نيشة وماركس وكيركجورد ) . وسوف ابحث في موضوعات اربعة من فلسفة ياسبرز الا وهي : تفسيره للمثل - نظريته للتاريخ ومعناه - لاهوته الطبيعي ان اطلقنا هذا على افكاره عن وجود الله - نظريته للمسيحية (١) .

\* \* \*

(١) لن نلخص هنا عرض المؤلف لنظرة ياسبرز في المسيحية لأنه موضوع خاص يحتاج الى اطالة ليس هنا مجالها .

وفقاً للصورة التي في ذهنه عني ، فان وجودي يكون وجوداً غير شرعي inauthentic existence فاذا حاول هذا الآخر ان يسلبني حريتي ، ويردني الى مجرد شيء فلماذا لا ادافع عن نفسي ؟ والصراع سيكون بيننا ابدياً ولكن الا يمكن ان يتوقف ؟ نعم .. عندما يوجد شخص ثالث ، في ملاحظة لنا ، فيمكننا ان نكون رأياً مشتركاً ضده ، وهذا هو الأصل في الوعي الطبقي Class - Consciousness . ومن ثم فالبروليتاري يتحد مع غيره لمهاجمة البرجوازيين ولهذا يقول فرويد : لكي تستطيع ان تجعل الناس متحدين ، اعطهم سبباً عاماً للكراهية ، وهذا هو أساس المجتمع المغلق ، ومن ثم اطلق سارتر قوله : « الجحيم .. هو الآخرون »

ولكن اما لنا من عاصم ؟ نعم .. انه الحب ، لأنني في الحب اسمي الى ارتباط ومشاركة الآخر ، لا لكي اردته الى موضوع ، ولكن باكتساب قبوله ان يكون محبوبي ، وانا اطلبه على ان يكون ملكي دائماً ، وان يكون مرتبطاً بي حتى انه لا يستطيع ان يصبح حراً ثانية ضدي ، ولكن هذا سيؤدي ثانية الى الخيبة ، لأنني اسرق حريته ، فاذا تركته لحرية فإين هو ضماني ؟ ومن ثم فان الحب هو المجهود لمشاركة آخر في حريته ، ولكن الحرية - في طبيعتها شيء - لا يقبل المشاركة .

\* \* \*

ذكرنا ان الحرية عندما تزول فانما تزول داخل عالم ، داخل موقف ، فانا مثلاً رجل مصري ، موظف ، متزوج ولي ولدان ، وفي القرن العشرين بكل خوفه من حرب ثالثة وباقتصاد مزعزع ، ولكن ليس معنى هذا ان حريتي محدودة بهذه الأحوال ، فان حريتي ليست شيئاً يوجد اولا وقبل كل شيء في الفراغ ، ان حريتي توجد فحسب داخل موقف ، انها الاستخدام في كل لحظة لموقف من مواقف . وانني لم اسبب الموقف ولكني انا الذي اواجهه ومن ثم « فإني احمل على كفتي ثقل العالم كله ، دون ما شخص او شيء كائن في موقف ليخفف الثقل » ( الوجود والعدم ص ٦٣٩ ) وانا لا ارضى ان يقين حريتي احد .. ومن ثم فإني سأقوم كل تهديد يقع على حريتي ، ان علي ان اختار ، وان الاختيار لا يسبق حريتي ، انه عين حريتي ، انني مهجور في العالم ، وعلي ان اعطي لحياتي معنى واحمل مسئوليتي على عاتقي .

ذلك هو تحليل الحرية عند سارتر في كتابه « الوجود والعدم » وقد اخذت سيمون دي بوفوار تلميذته وزميلته على عاتقها ان تطبع هذا الكتاب بطابع اخلاقي ، ولا يستطيع احد ان ينكر حساسيتها في مناقشتها للعلاقة بين الغايات والوسائل ، ولتغايها الأخلاقي على السياسة . ان الانسان وحيد في عالم فارغ يحاط بعبث الوجود منذ بدء ميلاده ، ولكنه لا يستطيع ان يملأ وجوده معنى

# قناديل اشبيليتس

مجموعة

قصصية

تصدر

هذا الشهر

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

منشورات دار الآداب : بيروت

إذا نحن حاولنا أن نهم ياسبرز باللاعقلانية irrationalism فإننا نكون بهذا لم نحاول أن نبذل جهداً لفهمه .. لقد اهتم بالعلم وبالطلب ، والتحق بكلية الطب في هيدلبرج ، ومنها انتقل إلى الفلسفة ، ولقد بحث فلسفة الوجود ، ولم يبحثها على أنها نموذج جديد للتفكير ، ولكن كأمل في تجديد الفلسفة القديمة عن طريق العقل ، فهو يعتبر العقل التوقان للفلسفة الحققة .

اننا نتعلم اننا في عصر ليس به ضمان او طمأنينة ، وانا لنبحث عن معرفة كاملة تأويينا وتدفتنا .. وهناك في العلم نجد معرفة شاملة ، كما هو الحال في الماركسية في تفسيرها للمجتمع ، وفي التحليل النفسي الفرويدي لتفسير الفرد ، وعظمة العلم هذه تدفنا الى ان نبحث عما هو العلم ، وعما ليس هو .. وان الانسان ليجد في نفسه شعوراً بأن هناك شيئاً يتقلت من العلم ، وانه لا ينضوي تحت نطاقه ، ويجد ان العلم لا يقنعه وهو يريد ان يتجاوز ، انني لاكتشف ان وجودي هو ما سيحيي ، وما هو مفتوح لحريري ، ما يكتسب او ما يفقد ، انها الذات لا كشيء معطى ، ولكن كشيء يزاول ، وهي لا يمكن ان تكون موضوع معرفة لانها دائماً على صعيد الذاتية ، واني متضمن بها في العالم ومع الذات الأخرى ، وانا حر في تكوين مصيري .

ونستطيع الآن ان نقرب من العلاقة بين الوجود والعقل .. الأول يدخل جمال السر في الإيمان والأمل والشجاعة ، والآخر يتعلل ما اكتسب .. الأول يعطي الحياة مضموناً والآخر يعطي لهذا المضمون شكلاً .. وهما ليسا ملكين منفصلين ، إنما هما مظهران لفعالية واحدة ، تنشغل فيها الذات كلية .. فمثلاً ، الرحالة يكتشف كل جزر في رحلة ويسجل هذا على خريطة ، فمن غير المخاطرة ما كانت لرسم الخريطة ، ومن غير الخريطة ما كان لنا ان نستفيد من هذه المخاطرة .

والفلسفة هي وحدة الوجود والعقل .. وحدة المضمون والشكل معاً . الوجود مخاطرة الحرية ، وهو الذي يجعل الفلسفة ممكنة وانها مختلفة عن العلم .. والعقل يستخدم ما يقدمه الوجود من انه يخلق فلسفة لا تحجل امام العلم . والمعلم يمتاز بأنه افتح openness متقبل لكل الحقيقة ، من اي مصدر تأتي منه .. وليست لديه مسبقات ، كما انه اتصاح clarity يضيء ما يدخل في افتحاه ، وهو ارادة الوحدة ، فلا يتمتع بسلسلة من البصائر الواحدة تلو الأخرى .. يقول ياسبرز « لكي يكون الباحث قادراً على البحث عن الواحد » يجب عليه ان يصبح هو نفسه الواحد ..

ويمتاز العقل أيضاً بأنه يستخدم المناهج وتصورات الذهن لكي يتخطاها ، وهو في اتصال مستمر حيث انه لا يقنع بتجربة خاصة واحدة ، ولكن عليه ان يشارك مع اخرى ويتعلم منها .

غير ان العقل امكانية اكثر منه فعالية « ليس العقل هنا بالطبيعة ، ولكنه يكون حقيقةً خلال قرار ( في كتابه Vernunft und Widerv (Ernunft P. 41

وهكذا يتبين لنا ياسبرز وقد ابقى على الموضوعية ، ولم يلغها الفناء وانما ادخلها بوتقة الذاتية .

\* \* \*

ويعتبر ياسبرز مع برديايف Berdyaev الوجوديين الوحيدين اللذين عنيا بمشكلة التاريخ ومعناه ، بالرغم من ان هيدجر له فصل في كتابه « الوجود والزمان » .. ونحن لا يمكن ان نجد هذه المشكلة اثرأ عند سارتر حيث انه لا يجد ادنى اهتمام بالماضي وبتفهم التراث .

وعندما نقارن بين ما كتبه ياسبرز عن التاريخ بما كتبه اشبنجلر pengler وتوينبي Toynbee نجد ان الحرية تلعب دوراً اكبر عنده عنها ، وهو

على حق عندما .. فض وجود فقطة خارج التاريخ فنشغل بها عندما نبهته ، اننا مشاركون في التاريخ لا مجرد متفرجين ، وليس التاريخ بالنسبة لنا مجرد احداث ماضية ، ان التاريخ مفتوح ، حيث علينا ان نصنع المستقبل والتاريخ لا يمكن ان ينفصل عن النظرة الكلية للحياة عند الشخص الذي يبحث ، بمعنى آخر ان فلسفة التاريخ - مثل اي نمط آخر للفلسفة - قائمة في العقيدة الشخصية وفي عصرنا الحديث تتبين امرين : الأول اننا نعيش لأول مرة في العالم ، والثاني ان الحياة الروحية في خطر مقبر لها ، لأن الانسان نفسه اصبح عملية تآلى Mechanized .. اليوم : المجموع هو الفاعل المحدد في الحياة منظمة .. اننا نعيش وسط السلوب Negations بان نكون ضد هذا وضد هذا .. لقد اصبحنا ضحايا العدمية وعدم الثقة .. ولكن ليس هذا هو مصيرنا ، لأننا اذا تفهمنا كل هذا اخضعناه لسيطرتنا .. ان لنا املا ان نحاربه بلا خلاف .. ان الانسان المعاصر يبحث عن الحرية مقدراً ايها على انها تحرر liberation الذات الباطنية ، وعلى انها قاعدة القانون في المجتمع المنظم ، ولكن الحرية علينا ان نكتسبها ونذكرها مع الاشتراكية ووحدة العالم والإيمان الذي يواجه العدم .. اننا في حاجة الى ميلاد جديد لدين الانجيل بطريقة متلائمة مع عصرنا وحاجاتنا .. والإيمان بالله هو الذي سيجعل الناس مقتنعين أنهم ليسوا في مواجهة الظروف وحدهم . والآن هناك قوة تساعد مساهم الشريف وتعطيه معنى .

يجب الانفسى ان وراء الفكر والعقل الإيمان بان الانسان خلق على صورة الله ، وانه ليس بلا غاية على هذه الأرض .

ان التاريخ معناه الولوج الى كل لحظة كما تعاش الحرية ، مع الله ومع البشر ومعناه الحرية أيضاً ، انه المجال الذي يكشف فيه الانسان عن نفسه في امكانياته بالنسبة للخير والشر ، وهو المجال أيضاً الذي يكشف الله فيه نفسه وفي استجابتنا له .

\* \* \*

ان الإيمان عند ياسبرز ذو طابع فلسفي لا ديني .. والفرق في هذا ان الإيمان الفلسفي فردي دون ما سلطة ، ودون ضمان .. بينما الآخر ربط الحياة العامة بالكنيسة ، وقائم على كشف يعطي تأكيداً .. الفيلسوف يجب ان يكسب ايمانه بصراع ذاتي مع المشاكل الكبرى في الحياة ، على الا يخرج عن نطاق العقل .. وعليه ان يعيش في استقلال .

وليس هناك من انسان يصبح تجسد الله ما لم يكن هذا في موقف تاريخي . ان الإيمان يرتبط بالوجود existence ، اي انه وجهة نظر للذات لما تتخطى اليه ، وكذلك العالم ، انه نظرة تبحث عن الاتصال .. وهذا الإيمان جوهره الله ، او ذلك المطلق ، او ذلك الكمال الذي نسمى اليه .

### من السر إلى الاخلاص

سيصطدم اولئك الاكاديميون عندما يدرسون مارسل Marcel ( وراي 1889 ) لهذه الطريقة الإحساسية التي يصل بها الى نتائجه .. فهو دائم المراجعة لما يشته ، ونجدته مثلاً في « يوميات الميتافيزيقية » Journal Métaphysique يقول : « يجب ان يبحث هذا بعمق اكثر » او « لا أستطيع ان اجد منفذاً الآن ابعد » او « كيف يتطابق هذا مع ما كتبه الشهر المنصرم ؟ انا لا ادري » . ويقول في كتابه « سر الوجود » The Mystery of Being « بين البحث الفلسفي ونتيجته النهائية ، توجد حلقة لا يمكن تحطيمها دون ان يفقد التلخيص نفسه كل حقيقته مباشرة » . ان الامر بالنسبة لجايريل مارسيل ، كما هو الحال عند افلاطون ، هو ان النتيجة لاقية لها من غير العملية process

التي ادت الى هذه النتيجة . وعند مارسل وافلاطون الفلسفة تنمو من الحياة ، ومن ثم فهناك صفة الكشف الذاتي عن هذه الحياة كما نجد عند كيركجورد .  
وهناك أوتزاربين تجربة مارسل الخاصة وبين فلسفته ، وكما ان المؤلف يكشف عن الرجل ، فكذلك الرجل يكشف عن المؤلف .. انه يهتم بالمرح ولقد كتب في كتابه « فلسفة الوجود » : « منذ سنوات حياتي الأولى وقد تقمصني المسرح الذي جذب انتباهي اقل بالمنظر منه بميزة التعبير » ، « لقد فكرت دائماً ان الشخصيات الخيالية التي اعقد بينها حديثاً صامتاً تحمل محل الأخوة والأخوات الذين افتقدتهم بقسوة في حياتي الحقيقية . »  
ولقد أثرت في حياته الحرب العالمية الأولى ، فلقد كان غير لائق للخدمة العسكرية ولكنه قام بالواجب في الصليب الأحمر ، في مكتب المفقودين ، وكان يوصل الأخبار لأسر المتوفين ، فأطلعه هذا على مكنون الحب ، وكان هذا نواة بحثه في مشكلة الغياب ، وجعله يفرق بين السر والمشكلة .

\* \* \*

ان المشكلة problem شيء « ملقى هناك » out there ، يمكن ان توجه له نظرك ، انها سؤال ينبعث وفقاً لظروف خاصة ، ونأمل ان نجد له حلاً .. ونحن نلجأ عادة الى التحليل ، فنجزئ المشكلة الى اجزائها حتى نستطيع ان نتناولها بسهولة فنترد الى اشياء نعرفها من قبل ، وندخلها تحت مقولات categories اكثر شيوعاً . ومن ثم نجد ان المشكلة قد توقعت هكذا ، وانها انحلت هكذا ، ونذهب الى مشكلة اخرى ، وان الذي سيتناول المشكلة سيجد حلنا جاهزاً ready - Made .

ولكن ليس كل مشكلة سهلة ، فهناك من المشاكل ما لا نستطيع ان نفضله عن انفسنا .. اننا متضمنون فيها ، انها جزء من حياتنا ولأن تجزئتها هو ان نقضي عليها ، واننا لا نحل شيئاً بهذا .. اننا الآن في مجال السر Mystery الذي يقوم وراء المشكلات ، واننا لا نستطيع ان ادرس السر وشرحه .. وهو سوف يصحني حتى انتهاء حياتي .. ولكن مواجهتي له ليست عبثاً ، لأنني وانما اواجه السر بالأمل والشجاعة - اجد اني اجمو الى ذات اخصب . ان السر ينبعث من تجربتنا ، ونحن مضطرون ان ننظر فيه عن طريق الفعل action لا بالتأمل ، ولأن نقل السر الى صعيد المشكلة هو ان نزيفه .

## شعر من لبنان

الياس ابو شبكه : افاعي الفردوس ، نداء القلب ،  
الالمان ، الى الابد .

صلاح لبكي : مواعيد .

الدكتور سليم حيدر : آفاق .

عاطف كرم : من هو انا .

خليل مطران : الطغاة .

ميشال بشير : غروب .

دار المكشوف - بيروت

ولكن ليست المشكلة والسر مقولتين مختلفتين ، ان التجارب ترتبط من جهة بالمشاكل ومن جهة اخرى بالأسرار فمثلاً : انا مريض وارسلت في طلب الطبيب ، ولقد فحصني ، واستمع الى شكواي ووصف لي العلاج وكان علي ان اناكث شهراً في سريري . ان نظرتي للمرض هي نظرة علمية : انها مشكلة تتطلب حلاً ، وهو يذهب الى المريض التالي والى مشكلة اخرى بنفس الطريقة . ولكن عندما ينقل الباب وراء الطبيب ، فاني ابقى منفرداً ، ويتخذ المرض لوناً مختلفاً ، فعلي ان اعيش معه شهراً وهذا موقف اخلاقي على ان اتصرف فيه كفرد مسئول . فهل سأكون مكتئباً ؟ ام ان اضيء بكل وسيلة جوانب حياتي من اجل هؤلاء الذين ينتظروني طيلة هذا الشهر ؟ فهنا اذن حركة داخل التجربة ، وعلينا ان ننقل الأمر الى صعيد نشارة فيه لا ان نبخته ، فلا بد من عملية تحط في التجربة ، وهذا التحط ليس شيئاً يقع وراء beyond التجربة ، انه اعماق التجربة نفسها .

واذا طبقنا الأمر على العلاقة بين جسمي وذاتي ، اجد ان العلم يدرس جسمي على أنه « الجسم » وليس « جسلي » أنا .. ولكن لي علاقة فريدة unique بجسمي ، وان علاقتي به هي نوع من المشاركة تتخطى كل التميزات التي يمكن ان نستخدمها بين ما هو خارجي external وبين ما هو داخلي internal بين الفعلية والانفعالية .

ان التجسيد incarnation يكشف لي هذا ومن ثم على الفيلسوف الا ينزل عن الموقف التاريخي وينحدر الى مشكلات لا زمانية ، وانما يجب ان تقوم فلسفته على بطانة قوامها الحضارة والمجتمع اللذان توجد فيهما .

واذا اخذنا الحياة ، نجد انه يمكن ان تؤخذ حياتي على انها قصة ، رحوادث تقص . ليس الانسان مطلقاً أكثر صدقاً مع نفسه عما في لحظة التضحية ويشعر حينئذ انه قد عاش اخيراً حياته دون ما تصنيف ؟ ان معنى حياتنا ليس شيئاً على السطح ولكنه في الأعماق ، اننا انفسنا بان نتخطى انفسنا .

وان معرفة المرء لذاته لها معرفته بانها في علاقات معينة متشعبة ، بالنسبة لندوات الأخرى . فمن هم الآخرون ؟ ان هناك تمييزاً بين الموضوع « I » وبين الحضور presence ان معنى الحضور - كما قد يظن - هو ان اشهد حيزاً في مكان وزمان محدودين بالنسبة لشخص معين ، ولكن الحضور الحق هو ان اكون في وجدان شخص حتى ولو لم اوجد حقيقة ، ومن هذا نستطيع ان تفهم مشكلة الموت تفهها جديداً ، من ان هناك اتصالاً Communication مستمراً بين الأحياء والاموات . ولقد عبر عن هذا الفيلسوف الوجودي مارتن بور Martin Buber بحديثه عن الأنا والأنت ، والأنا والشيء اننا لنشارك الآخرين قبل ان ندرسهم ، وان الحب هو تداخل الذاتية .

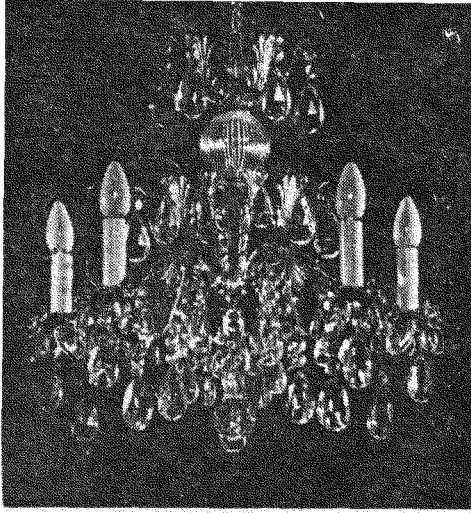
ومن ميزات الحضور الاخلاصي ، ان الانسان - كما عبر نيتشة - هو المخلوق الوحيد القادر على اعطاء وعد .. انه يستطيع ان يرتبط بالمستقبل .. وهذا الاخلاص يجب ان يكون امام الله وامام الناس ، والحب هو فعل الإخلاص الخلاق ، فكل محب يعتبر محبوبه حضوراً ، ومن ثم فهو مقدس .

\* \* \*

وها نحن نقرب من السر الرئيسي ، الا وهو سر الوجود . ان الوجود يوجد باتباع هذا المطلب الداخلي الا وهو « اقتضاء الوجود » exigence of Being ولكي نتبعه علينا ولا ان نميز بين الوجود الانساني existence والوجود العام Being . فالوجود الانساني عنده يعني المعطى البدني primary Datum لتجربتنا .. وركيزة كل تفكيرنا التي منها ننطلق ..



## الثريات الانيقية



## والاواني الجميلة



## تجدونها في معارض

## كمال وشركاه

جانب اوتيل بريستول - بيروت

واني لأعيش كذات متجسدة من موقف معين مع آخرين متجسدين أيضاً .  
وليس في الامكان التمييز بين الوجود وكشف الوجود ..

وان « اقتضاء الوجود » له توجيه نحو القيم « هناك هوة دائمة بيني وبين وجودي ، واستطيع ان اضيق الهوة ، وهذا حق ، ولكن على الأقل في هذه الحياة لا امل ان تعبرها » . ( سر الوجود - الجزء الثاني ص ٣١ )

ان الوجود Being في الأشخاص ويمكن الحصول عليه في حللة الحب ، فان الشخص الثاني يصبح بالنسبة لي وجود ، عندما اقترب منه في احترام ، عندما اعتبره مركز الحرية والمسئولية . ان الوجود تداخل الذاتية ، اننا نشارك الحياة مع آخر ، ومن ثم ينكشف لنا سر الوجود في هذه العلاقة من الـ « أنا » و « الأنت » .. ان الوجود لينفتح للإيمان والأمل والحب ولا يفتح للمعرفة العلمية .. ان الشخص الثاني في الحب ، ذلك المقدس ، سيقودني الى الله الذي هو موضع الاخلاص المطلق ، والشخص الثاني يصبح املي في الخلود لأنه لا يقني ، لأن له جدارة فريدة ، بل ان موته ليس موتاً ولكنه حضور ، ومن ثم ينقاني الموت الى امل الخلود ، ومن ثم نصل الى ميتافيزيقا الأول ، لأن المحب يأمل في دوام محبوبه لأنه يشارك بالحب وجود الشخص الآخر ويأمل في ان هذه المشاركة تقهر الموت . انه كما كان يقول لمحبوبه « مها تدخلت الاحوال فيما ارى امامي ، فستظل انت وانا دائماً كواحد : ان الحادثة التي تحدث والتي تمت الي ما هو عرضي لا يمكن ان تلتفى وعد الخلود المتضمن في حينها ، في تمهدنا العلاقي » ( ص ١٥٤ )

وان مارسل ليتحدث عن هذا الأمل كـ « تأكيد تنبؤي » ، يجب ان يصبح فعلاً للإخلاص الخلاق . ولأن نحيا في قلوب اولئك الذين نتركهم وانا هو أملنا الحق في الخلود .

لقد وصلنا اذن الى الاخلاص بعد مخاطر لم يكن يد منها ، ولم يكن هذا الوصول محمداً من البداية ، وانما وصلنا اليه بعد مخاطر .. لكأننا منطلقون الى كعبة ، ولا ندري ان كنا سنجدها فارغة ام عامرة بحضور إلهي ، واذا كنا سنسجد امام هذا الحضور ، فلا يجب ان ننسى الطريق الذي وصلنا عن طريقه . ويجب الا ننسى اننا ذوات لا اشياء ، واننا احرار مسئولون ، واننا لسنا وحدنا ولكن مع آخرين ، وان مصيرنا هو ان ننحط انفسنا ، وان قدرنا في ايدينا ، وما اذا كنا سنجد الله ام سنفقد في هذا فهو ما لا ندريه ولكننا نجد ان حيننا الانساني وحريرتنا قائمان في حبه .

\* \* \*

لقد حاول المؤلف الدكتور « ألن » ان يعيش مع موضوعه ، وان ينفذ الى الوجودية من الداخل ، فن داخل اصحابها ومؤلفاتهم .. وكان ان اطلق على كتابه هذا الاسم الفريد ، ولكن لعله كان من الاوفق ان يربط بين انواع هذه الفلسفات الوجودية ، وان يعرض لنا الجانب الحضاري والذاتي والتاريخي لاختلاف كل فيلسوف وجودي عن الآخر ، فلا شك ان التراث الفلسفي لكل منهم ، والنشأة الخاصة المتعلقة بهم ، والظرف التاريخي الذي وجد فيه كل منهم لاشك ان كل هذه عوامل ساعدت على وجود تباين بين فلسفاتهم ، وكان اخرى بالمؤلف لوانه ركز عليها الأنظار بجانب عرضه للنزعة لفلسفاتهم ، واستبصاره الرائق لأسس تفكيرهم .

عرض وتحليل

مجاهد عبد المنعم مجاهد

العلفنة